جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

العوامل البيولوجية في السلوك العدواني والسلوك المضاد للمجتمع

الدكتور السيد ابو شعيشع

الرياض

1408 هـ - 1988 م

العوامل البيولوجية في السلوك العدواني والسلوك المضاد للمجتمع

الدكتور السيد أبو شعيشع(*)

ان تعبير الشخصية المضادة للمجتمع Anti-social personality كما هي مذكورة في الـ DSM-II يماثل الى حد ما خصائص الشخصية العدوانية Aggressive التي نتكلم عنها في هذا الموضوع.

وتعريف الـ DSM-II للشخصية المضادة للمجتمع يؤكد على نتائج السلوك المجوج (أي غير المقبول) اجتماعياً الذي يصدر عن هذه الفئة من الناس، وتتميز هذه الفئة عن غيرها من الفئات العدوانية الأخرى بأن سلوكها العدواني بيّن وصريح، ذلك أن هناك من الأشخاص العدوانيين ما لا تظهر عدوانيتهم واضحة في تصرفاتهم.

وتصف الـ DSM-II هؤلاء الأشخاص المضادين للمجتمع بأنهم: آبقون، لا ينضوون تحت رعاية أو سيطرة من أحد، ولا يولون أي قاعدة خلقية أو قانونية أي اهتمام أو اعتبار، وهم أنانيون بصورة

(*) كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض. المملكة العربية السعودية.

كبيرة، قلوبهم قاسية، تصرفاتهم غير مسئولة، اندفاعيون ولا يشعرون بالذنب على مخالفة ارتكبوها، ولا يتعلمون من خبراتهم، ولا يتعظون بتوقيع العقاب عليهم، ولا يطيقون الاحباط، ودائماً ما يجدون تبريرات معقولة لسلوكهم المخالف للعرف والقانون.

ولكن هناك بعضاً من الأشخاص «العدوانيين» تفضلهم ظروف حياتنا الحاضرة، حيث التنافس والتشدد يعتبران من الخصائص اللازمة في صراع البقاء، هذا البعض من العدوانيين على خلاف الجانحين والمجرمين وسيئو السمعة، يمارسون حياتهم بصورة عادية، فمنهم الآباء والبائعون، ومن هذا الصنف المتشدد العدواني من الناس الأم التي تثير مشاعر الاثم لدى أبنائها موبخة اياهم على أبسط ما ارتكبوه من مخالفات.

ان أهم ما يتميز به هؤلاء العدوانيون هو قلة ثقتهم في كفاءة الآخرين، وغالباً ما يصدر سلوكهم العدواني بناء على توقعهم العدوان من الآخرين، ولذلك فان سلوكهم ضرب من العدوان الوقائي، ولهذا فان هؤلاء العدوانيين يميلون لامتلاك أسباب القوة قدر ما يستطيعون حتى يمنعوا الآخرين من امتلاكها أو من ايذائهم.

هؤلاء العدوانيون خشنو المعاملة، غالباً ما يكلفون مرءوسيهم فوق ما يطيق هؤلاء، هذا الصنف من الناس من محبي الجدال، نادراً ما يسلمون بوجهة نظر الآخرين، وهم عمليون، واستغلاليون أحياناً، ولكن هذه الفئة من العدوانيين قلما يخالفون العرف أو القانون.

وعلى هذا، فان هذا النوع من العدوانيين يندرجون فيما يرى تيودور ميلون T. Millon، تحت عنوان الشخصيات النشطة ذات النمط الاستقلالي[1] (Active-Independent personality).

أما المضادون للمجتمع، وهم أكثر عدوانية من الفئة السابقة فيتميزون كما يقول ماكورد[2] (McCord) بأن سلوكهم غالباً ما يوقعهم في مصادمات مع المجتمع، والشخص المضاد للمجتمع (السيكوباتي) تحركه دائماً دوافع فجة ورغبات عارمة لطلب الاثارة، وهو في طلبه للذة، والاستمتاع فانه يتجاهل معايير وقيود مجتمعه، والشخص السيكوباتي اندفاعي بصورة كبيرة، وهو نوع من الرجال حياته هي اللحظات الآنية التي يحياها، وهو لا يفكر فيما كان أو سيكون، ولا تسير حياته على نمط أو منوال محدد، وهو عدواني ليس في جعبته أو خبراته المتعلمة الاَّ القليل جداً من الحيل التي يستطيع بها التغلب على الاحباطات، يمكنه أن يرتكب أشنع الأمور، وأفظعها دون أن يشعر بالندم أو يحس بالذنب، وللشخص السيكوباتي امكانية دفينة على الحب، لكن هذه العواطف ان وجدت فهي سراب عابر، هدفها الوحيد اشباع لذاته، وهاتان الصفتان الأخيرتان وهما عدم الشعور بالذنب وعدم القدرة على الحب من أهم ما يميز السيكوباتي عن غيره من الفئات العدوانية الأخرى.

---

1 - T. Millon. Modern Psychopathology, W.B. Saunders Company, Philadelphia, 1969, pp. 267-276.

2 - Ibid., p. 429.

ومن آراء ماكورد وآراء باحثين آخرين نتبين أن من أهم خصائص الشخصية السيكوباتية:

١ ـ ازدراء العرف الاجتماعي، فالتعاون والألفة وعادات الناس في الملبس يبدو أنها لا تنطبق عليهم، ويبدون كما لو كانوا يتلذذون بتخويفهم ومهاجمتهم للآخرين.

٢ ـ اصطناع واجهة اجتماعية خادعة: فبالرغم عدم احترامهم لحقوق ومشاعر الآخرين فان الكثير منهم يلبس قناعاً من التمدين والنضج والاخلاص، ولأنهم لا تؤلمهم أي مشاعر للذنب، ولا يحسون بالولاء لأحد لذلك تنشأ فيهم موهبة مرضية للكذب، وكثير منهم جذابون ذو حضور اجتماعي، ولذلك فانهم يصبحون ماهرين وتظهر هذه المهارة في معرفتهم لنقاط الضعف في الآخرين، مما يسهل لهم سلوك الاحتيال لوقت طويل.

٣ ـ عدم القدرة أو عدم الرغبة في الاتعاظ من العقاب: وكثير من السيكوباتيين يتميزون بذكاء فوق المتوسط وتلمح في تفكيرهم الوضوح والمنطق ولكنهم والى حد كبير تعوزهم القدرة على البصر بنتائج أفعالهم، كذلك ينقصهم الفهم والبصر بذواتهم، فبالرغم من أنهم يفهمون أن عليهم تغيير سلوكهم المعوج ذلك، الاَّ أنهم يفشلون دائماً في تعديل ذلك السلوك، وغالباً ما يتعللون بسوء تنشئتهم الاجتماعية أو سوء حظهم لتبرير سلوكهم المستهجن.

٤ ـ اللغة الاندفاعية: كثير من السيكوباتيين يظهر لديهم عدم تحمل الاحباط، ولذلك فان مطالبهم لا تحتمل التأجيل ويشعرون سريعاً بالملل والضيق، ولا يطيقون الرتابة ولا يثابرون في تلبية مطالب الحياة اليومية سواء الوظيفية أو الزوجية، أما أهم ما يميزهم فهو ميلهم الشديد لانتهاز الفرص وطلب النشوة وكأنهم في حرز من الخطر.

٥ ـ تجاهل مشاعر الآخرين: وفوق هذا الازدراء للحقوق الاجتماعية للآخرين فان السيكوباتي يعاني نقصاً من قدرته على مبادلة الآخرين الود ومشاعر الحب، كما تعوزه القدرة على مخابرة المشاعر الوجدانية الرقيقة نحو الآخرين أو العطف عليهم . . والأدهى من ذلك أن السيكوباتيين يبدو أنهم يستعذبون تعذيب الآخرين وايذاءهم أو التفكير في ايذائهم.

ويشير بعض الكتاب الى الأشخاص السيكوباتيين أو المضادين للمجتمع على أنهم المجرمون المعتادون Habitual أو العائدون للاجرام، وهم هذه الفئة من الناس الذين اتخذوا من السلوك الاجرامي وسيلة حياتية لهم، وبذلك فانهم يشكلون تهديداً خطيراً للسلام والأمن الاجتماعيين.

وهؤلاء المجرمون العائدون يعانون بغير شك من اضطراب في شخصياتهم، ذلك أنهم يقضون معظم سنى حياتهم في ارتكاب نفس الأمور التي تؤدي بهم الى السجون، اذ تشير الاحصاءات الى أنه في سنة ١٩٣٣م كانت نسبة العائدين للجريمة في سجون الولايات

المتحدة الأمريكية الى عدد المسجونين ٥٤,٥٪، وأصبحت هذه النسبة ٦٠٪ في سنة ١٩٥٧م، وفي بلجيكا كانت نسبة العائدين للاجرام سنة ١٩٥٠م من مجموع كل المسجونين ٤١,٥٪، وأصبحت هذه النسبة ٤٣,٨٪ سنة ١٩٥٦م، وفي جمهورية مصر العربية كانت نسبة المجرمين العائدين ٤٥,٥٪ سنة ١٩٥٩م، وقد ارتفعت هذه النسبة الى ٤٧,٥٪ سنة ١٩٦٢م[1].

ولكن هناك فروقاً كبيرة بين السيكوباتيين وبعض الفئات من الناس ممن يعانون من بعض اضطرابات الشخصية، ومن هذه الفئات العصابيون، والعصابيون قد يتسببون بتصرفاتهم في جلب النكد على أنفسهم وعلى الآخرين، ولكنهم نادراً ما يعتدون على حقوق الآخرين، وليس من عاداتهم الغش أو السرقة أو الهجوم على الآدميين، لكن المجرمين العائدين يرتكبون كل هذه المخالفات، وكل هذه المخالفات تبعاً لتصنيفات الجمعية الأمريكية للطب النفسي DSM-III تعتبر سلوكاً ضد اجتماعي، حتى في صغرهم فان السيكوباتيين تبدو عليهم اضطرابات ومشاكل سلوكية، فمن أمثلة مشاكلهم في المدرسة: السرقة والكذب وافتعال الخناقات مع الأقران الى غير ذلك من السلوك اللااجتماعي، وفي كبرهم يواصلون حياتهم المضطربة تلك فهم لا يستطيعون الاحتفاظ بوظائفهم لفترات طويلة متقلبين في علاقاتهم العاطفية، وهم كما سبق القول لا يوثق بهم،

---

١ ـ بحوث في سيكولوجية الشخصية في البلاد العربية. تركي م. المطبعة الفنية. القاهرة: ١٩٨٠م. ص: ١٥٩.

ويفترق السيكوباتيون عن العصابيين ـ كذلك ـ في أن الصنف الأول منهم غير هياب، لايحس بأي مشاعر للذنب.

الّا أن المدهش أن احصائيات وزارة العدل الأمريكية سنة ١٩٨٠م، تقول بأن ٦٦٪ من كل حوادث أو محاولات القتل تحدث بين أناس يعرفون بعضهم البعض أو كانوا في علاقات سابقة مع بعضهم، هذه الحوادث أو الجنايات تحدث غالباً بين الازواج والزوجات، أو الأزواج وزوجاتهم السابقات، الوالدين والأطفال والأصدقاء، والمعارف، وأحياناً ما تحدث هذه الجنايات أو الحوادث بصورة مفاجئة بدون سابق انذار خلال حمية الشجار، وفي أحيان أخرى يتبين وجود خصام طويل بين الطرفين، ويلعب الكحول دوره في مثل هذه الصراعات العائلية، ذلك أن جرعة متوسطة من الكحول (١٠٠ ميلليجرام/١٠٠ ميلليلتر من الدم) تحدث تغيرات ظاهرة في المزاج يتضمن ذلك الاكتئاب والعدوان[1]، كما يفقد الكحول الشخص سيطرته على سلوكه.

السؤال الآن: لماذا يدخل القتل أو الشروع فيه الى أفراد الأسرة الواحدة مع أن مرتكبي هذه الحوادث ليسوا من السيكوباتيين أو العائدين للاجرام؟ والاجابة أنه في بعض حالات القتل التي تحدث في الأسرة يكون الزوج أو الزوجة أو القرين السابق، أو الطفل أو الصديق، والضحية، طرفاً فاعلا أو ركناً في أسباب حدوث الجريمة،

---

1 - Green, A.R. and Costain, D.W. Pharmacology and Biochemistry of Psychiatric Disorders, John Wiley and Sons, Chichester, 1981.

ولذلك وجده الجاني هدفاً سهلا يفرغ عليه غضبه، وكذلك فانه في معظم هذه الحوادث، يكون الأقارب في مكان يسمح لهم باحباط واثارة أحدهما الآخر.

لقد حاول كل من يوكلسون وسامنو Yochelson and Samenow وأولهما طبيب نفسي، والثاني عالمي نفس اكلينيكي، حاولا دراسة أوجه النشاط اليومي الذي يقوم به نزلاء أحد السجون من المجرمين العائدين، وللدهشة البالغة فقد وجد الباحثان أن مجموعة من النزلاء الذين كانوا موضع الدراسة كانوا يمضون جل وقتهم داخل السجن يفكرون ويخططون لجرائم يمكن أن يرتكبوها بعد خروجهم من السجن[1]، والأدهى من ذلك كما يقول الباحثان أنهم قلما فكروا في أي شيء آخر، وهذا الاعداد لارتكاب الجرائم - فيما يقول المسجونون أنفسهم - يرد على خواطرهم كأخيلة دائمة تراودهم.

ويقول أحد هؤلاء المسجونين وكان يتردد على مستشفى الأمراض العقلية الملحقة بالسجن لاستكمال علاجه، بينما أمر بأحد محلات الجواهر أفكر في تزوير بعض الشيكات حتى أشتري بعضاً من تلك الجواهر، عندما أمر بأحد البنوك فاني أتخيل سرقته مستخدماً السلاح، ولما أمر بحارة ضيقة فان التفكير في اغتصاب فتاة والاعتداء عليها يلح عليَّ.

---

1 - Gallatin, Judith. Abnormal Psychology, Concepts, Issues, Trends, Macmillan Publishing Co. Inc., N.Y. 1982.

وبعد أن انتهى هذان الباحثان من دراستهما على المسجونين من هذا القبيل، قررا أنهما لم يجدا بين هؤلاء المسجونين مريضاً عقلياً واحداً مع أن معظم أفراد عيناتهم كانوا من بين من دفع محاموهم بعدم ادانتهم لاضطرابهم العقلي، ويقرر الباحثان أن السبب وراء طلب المحامين ذلك هو سهولة ترتيب الافراج عن موكليهم، فيما بعد من مستشفيات الأمراض العقلية التي يودعون بها.

واكتشف الباحثان أن بعض المسجونين قد اتقنوا ـ وقت التحقيق الى حد كبير ـ القيام بدور الشخص المضطرب عقلياً حتى يقنعوا السلطات بالافراج عنهم بدعوى الجنون، فبعضهم كان يقف متصلباً يحملق في الفضاء، فاذا سئل عن شيء ادعى أنه لم يفهم ما طلب منه، وبعض هؤلاء السيكوباتيين كانوا يذهبون بعيداً في حبك هذا الدور التمثيلي، فاذا سئل أحدهم عن اسمه أجاب بأنه عيسى النبي.

أما عندما تقترب منه احدى الممرضات لاعطائه حقنة أو غير ذلك فانه يثور ويهيج ويستغيث طالباً انقاذه ممن يحاولون قتله.

بناء على المقابلات الاكلينيكية المتكررة التي قام بها كل من يوكلسون وسامنو لحوالي مائة من المجرمين المحترفين قدما وصفاً مطولا لشخصة المجرمين العائدين لعل أهم هذه الصفات: يتمتع هؤلاء المجرمون المعتادون بمستوى هائل من الطاقة، لا يأبهون بقول الصدق فهم قد تعودوا الكذب، وغالباً ما لا يفكرون في ابتداع أكاذيبهم مقدماً، فهي تأتيهم حدساً، وهم يكذبون بغير سبب

يدعوهم لذلك، ولا يقدرون مشاعر الآخرين ولا يتعاطفون مع أحد ولا يتعرفون بأنهم قد جرحوا مشاعر انسان آخر إن هم فعلوا ذلك، أما اذا أدرك هذا المجرم أن أحداً قد تجاوز الحدود معه فانه يثور كالعاصفة، وهؤلاء لا يستشعرون أدنى ضرورة للوفاء بوعدهم يعيشون الحاضر، يستطيعون أن يخططوا ويرسموا بحذق لسرقة ما، لكن ـ وهذا هو الغريب ـ استبصارهم ورؤيتهم للمستقبل محدودة للغاية، لهذا فالمجرم يحتقر العمل الجاد والشاق، وهو يريد أن يلمع بغير أن يبذل مجهوداً، وهو يريد النجاح الآن وحالاً، ويتميز ببعض مشاعر العظمة فيصر على أنه الاكفأ والأحسن في كل الأمور مهما بلغت تفاهة هذا الأمر أو ذاك، ويهدف المجرم المعتاد دائماً الى تحقيق السيادة باستمرار على غيره من الناس واستغلالهم.

وقد انزعج الباحثان لما وجداه من جاذبية كبيرة للغاية للأفعال الاجرامية في نظر هؤلاء المسجونين المعتادي الاجرام، ويؤكد هذان الباحثان أن هؤلاء المجرمين قادرون على أن يستقيموا وينصلح حالهم، ولكن لفترات زمنية قصيرة من حياتهم، بعدها تتغلب عليهم شهوة الاثارة ومتعة مخالفة القانون، ذلك أن الاحترام والوقار يبدوان في أعين هذه الفئة من البشر شيئاً مملا، أما الاشتراك في سرقة بنك أو انتهاك حرمة أحد البيوت أو اغتصاب فتاة ففي ذلك نشوة غامرة تفوق كون الانسان محترماً، وينظر معظم المجرمين الى عملية ضبطهم على أنها أسوأ ما قد يحل بهم من نائبات، ولذلك فهم يشتاطون غيظاً وغضباً ويصبحون أشراراً خطرين اذا ما حاول أحد مطاردتهم أو

الايقاع بهم، وقد ينتاب بعض هؤلاء المجرمين أحياناً نوبات من الاكتئاب وعندما يحدث لهم ذلك فانهم يبدون وكأنهم قد ألقوا في هوة ساحقة ما لها من قرار.

فما هو السبب أو الأسباب التي تجعل الفرد يرتكب الجرائم ويعاود ارتكابها مرة بعد أخرى؟

هناك في الواقع الكثير من النظريات التي حاول أصحابها تفسير السلوك الاجرامي كما حاولوا القاء الضوء على شخصية هذه الفئة من الناس.

أولا: النظريات الاجتماعية:

يذهب أصحاب هذه النظريات الى أن ميل بعض الأفراد الى ارتكاب الجرائم واعتياد ارتكابها يرجع الى فشل في عمليات التنشئة الاجتماعية، فالظروف الاجتماعية المعاكسة مثل وفاة أحد الوالدين أو كلاهما تشكل نوعاً من الاحباط الذي يكون مقدمة لسلسلة لا تنتهي من الاحباطات لهؤلاء الأشخاص منذ طفولتهم الناعمة، ومجتمعاتنا الحاضرة تقدر المنافسة والنجاح في ميادين المال والتجارة ولكنها لا تتيح فرصاً متساوية لكل أبنائها لتحقيق هذه الأهداف، لهذا نجد كثيراً من المجرمين المعتادين (فيما يقرره يوكلسون، سامنو) يأتون من أسر محطمة، تعيش في أحياء مزدحمة حيث الفقر الطاحن، في مثل هذه البيئات فان الفقراء والمساكين يستهزأ بهم ويهانون ويتعرضون للاحباط، ويحرمون مما تصل اليه أيدي غيرهم، لهذا

تتكون فيهم مشاعر العداوة والبغضاء لغيرهم من الناس جميعاً، في مثل هذه الحالة العقلية التي لا تتيح فرصة للتصرف وهذه الظروف القاسية يندفع هؤلاء الى استعمال القوة في الحصول على ما يشتهون من أشياء لا يستطيعون الحصول عليها بصورة مشروعة.

لكن من الباحثين من يعتقد أن ربط الاحباط بالعدوان على هذا النحو الوثيق ربط لا مبرر له وخادع[1] ذلك أن الاحباط فيما يقول ميللر Miller وهو أحد واضعي نظرية الاحباط والعدوان، يقود الى عدة استجابات منها العدوان، وان أحد مهام عملية التنشئة الاجتماعية تعليم الطفل مواجهة الاحباط بطريقة بناءه متعقلة ومحاولة استبعاد مصادر الاحباط بطريقة غير عنيفة، وأن الاحباط المتعمد وحده هو الذي يؤدي للعدوان.

وهذا ما دعا باحثون آخرون الى القول بأن المجرم العائد قد مر بعملية تطبيع اجتماعي ولكن من نوع مختلف، فقد يكون نشأ في وسط عصابة لا يتمثل أفرادها أخلاقيات الطبقات الوسطى، لهذا فان العنف يكون وسيلتهم المفضلة للحصول على ما يشتهون، يتفق هذا القول الى حد كبير مع أقوال منظر آخر هو ألبرت باندورا Bandura ونظريته في المحاكاة، فالاحباط قد يقوي من فرص ظهور السلوك العدواني، لكن العوامل الموقفية وما تشربه الفرد من الكبار في جماعته أو من أية جماعات أخرى يؤثر بلاشك في اختيار هذا الشخص لأنواع

---

1 - Schneider, D.J. Social Psychology, Addison-Wesley Publishing Company, Reading, Massachusettes, 1976, p. 441.

السلوك المناسب في موقف من المواقف التي تواجهه، يجرنا الكلام عن نظرية المحاكاة Modelling الى الكلام عن دور وسائل الاعلام وخصوصاً التلفزيون في تعليم الأطفال للسلوك العدواني، وهنا أيضا ينقسم العلماء، فمنهم من يؤكد ان العنف على الشاشة الصغيرة لا يسهم الا قليلا جداً أو لا علاقة له بالعنف في الحياة اليومية، وقد حدا هذا الانقسام بالجراح العام في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٩م لتشكيل لجنة من الباحثين لدراسة العلاقة بين العنف على شاشة التلفزيون والعدوان في الحياة اليومية، وقد قدم أعضاء اللجنة تقريراً متحفظاً عن أثر حوادث العنف على الشاشة الصغيرة على سلوك العدوان في المشاهدين الاَّ أن معظم صفحات التقرير أكدت وجود علاقة بين مشاهدة حوادث العنف في التلفزيون وحوادث العنف التي يقوم بها الأفراد في حياتهم اليومية[1]

أما الباحثان يوكلسون وسامنو فقد احتارا في تفسير أسباب السلوك الاجرامي لدى مجموعات المسجونين التي درساها، واعترف الباحثان بعدم امكانهما معرفة السبب وراء السلوك المضاد للمجتمع الذي درج عليه هؤلاء الأشخاص، فبعض معتادي الاجرام من هؤلاء المسجونين قد أتوا من أسر محطمة قد هدها الفقر، وبعضهم قد أتوا من أسر تبدو ميسورة اقتصادياً ومستقرة، وبعضهم لهم اخوة وأخوات وقعوا في الجريمة، وآخرون هم الوحيدون في أسرهم الذين نهجوا هذا السبيل مثلهم في ذلك مثل الخروف الأسود وسط قطيع من

---

1 - Schneider, D.J.; Op. cit., p. 452.

الخراف البيض ـ كما يقول المثل ـ وقد لاحظ الباحثان أيضاً عدم اختلاف شخصيات المجرمين الحالية عن شخصياتهم أثناء الطفولة، ففي طفولتهم كان هؤلاء المسجونين يتمتعون بطاقة ونشاط زائدين وكانوا ميالين الى طلب الاثارة والفرح، ولكنهم كان يقتلهم القلق في ذات الوقت، وعن كثير منهم تقول عائلاتهم: انه عندما بلغ السابعة أو الثامنة كان أميل الى السرية بغير داع، يكذبون بغير سبب، ولا يعتمد عليهم في وعود قطعوها، وكثير منهم قد قام فعلا بعمليات سرقة وتخريب في هذا السن المبكرة[1]، ويميل يوكلسون وسامنو وان لم يصرحا بذلك الى القول بوجود عوامل بيولوجية مهيئة لهذا السلوك الاجرامي لدى هؤلاء الأشخاص.

ثانياً: العوامل النفسية:

على الرغم من أن الخصائص النفسية للأشخاص العدوانيين يمكن أن تكون نابعة أو مبنية على عوامل بيولوجية مهيئة، الاَّ أن العوامل النفسية تحدد اتجاه ونمط الأفعال أو السلوك العدواني، العوامل السيكولوجية وحدها قد تسهم بتقوية الدوافع أو سلوك العدوان، وعلى سبيل المثال فان عوامل الخبرة والعوامل المتعلمة التي أصبحت جزءاً من نسيج الشخصية لدى هذا الشخص أو ذاك قد تحدد له العنف سبيلا لتحقيق ما يرجوه من مآرب.

---

1 - Gallatin, Judith; Op. cit., p. 509.

اما كيف يصبح العدوان أو السلوك العدواني داخلا في نسيج شخصية هذا المجرم، فذلك لأنه هو نفسه غالباً ما كان موضع عدوان من والديه اذ يصفونه باللوم والقسوة وانه شرير، كما ينعتونه بالعند والمكابرة ولا تجيء هذه الأوصاف في الواقع من فراغ، فغالباً ما يكون تكوين الطفل البيولوجي خصوصاً اذا كان هذا الطفل بارداً cold ،سريع الغضب أو بطيء sullen فان هذه الصفات الجسمية تجلب عليه صفاتٍ سيكولوجية سلبية من والديه[1]، ولا يأخذ الأمر كثيراً بعد ذلك حتى يتطبع هذا الشخص بأوصاف سيكولوجية لاصقةstereotypes،تصبح هذه النعوت جزءاً من مفهومه هو عن نفسه، هذه الأوصاف تدعمها وتثبتها الأقوال والعلاقات السلبية بين الفرد ووالديه.

وليس من اللازم اللازب أن تكون العوامل الجسمية للشخص أي جبلته البيولوجية هي السبب الوحيد في الصاق تلك الصفات السيكولجية السلبية بفرد ما وتعلقها به، فالمشاكل والخلافات الزوجية والصراعات داخل الأسرة والاحباطات التي يواجهها الوالدان تجد لها متنفساً سهلا في الأطفال، ولهذا قد يصبح الطفل عدوانياً فيما بعد، نتيجة لقسوة الوالدين وسيطرتهما[2].

وعلى كل حال فان العوامل السيكولوجية والعوامل البيولوجية تشكل معاً وحده متداخلة قد تؤدي بالفرد الى اصطناع العدوان منهجاً لتحقيق ما يريد.

---

1 - T. Millon; Op. cit., p. 271.

2 - Ibid., p. 271.

ثالثاً: العوامل البيولوجية:

من العرض السابق وجدنا أن العوامل الاجتماعية (كالتنشئة أو التطبيع الاجتماعي) والظروف التي ينشأ فيها الفرد وعوامل الاحباط والضغوط الاجتماعية والاقتصادية والعوامل السيكولوجية والعلاقات الوالدية في الطفولة كلها تشترك في تأصيل السلوك العدواني كأسلوب حياة في فرد ما، لكن أي عامل مفرد منها ليس سبباً كافياً لظهور هذا السلوك في أي فرد منها، وهذا ما يجعل الباحثين يفتشون دائماً عن أسباب أخرى تصلح تفسيراً لهذه الظاهرة سواء من قريب أو من بعيد.

أما العوامل البيولوجية فهي متعددة وقد ذهب العديد من الخبراء في الميدان الى أن الاضطرابات البيولوجية ربما كانت سبباً في انحراف هؤلاء الأشخاص[1]، فقد يكون الشخص الذي اعتاد الاجرام قد ورث جيناً معيناً هيأه لذلك، أو ربما يكون هذا الشخص قد تعرض لاصابة عضو في المخ أو أي خلل عصبي أو ربما كانت تختلف أجهزتهم العصبية من الناحية التركيبية عنها في الأسوياء من الناس، وأن هذا الاختلاف يجعلهم أسرع في الشعور بالملل والضجر وأقل شعوراً بالقلق من الكثير من الناس، أو ربما كانت هناك عوامل هرمونية هي المسئولة عن اندفاعاتهم العدوانية والقسوة التي تميز سلوكهم.

---

1 - Gallatin, Judith; Op. cit., p. 515.

على أن النظريات القائلة بوجود عوامل بيولوجية تدفع بعض الأفراد الى ارتكاب الجرائم ليس بالنظريات الجديدة، ففي القرن التاسع عشر اقتنع الطبيب الايطالي لمبروزو Cesare Lombrozo بأن ارتكاب الأفعال الاجرامية من قبل بعض الأفراد يرجع الى أسباب وراثية، وقال لمبروزو بأن معتادي الاجرام يتصفون بصفات معينة في جماجمهم، وقد أدت به نظريته تلك الى القيام بالكثير من عمليات التشريح لعديد من جثث المجرمين السابقين، الاّ أن نظريته تلك أصبحت الآن مهجورة من معظم الدارسين لفشلها في تفسير السلوك الاجرامي، ولو أن قلة من أمثال جلويك وجلويك Glueck and Glueck وكذلك شلدون Sheldon يؤيدون فكرة وجود رابطة سببية قوية بين نمط الجسم Body type والشخصية السكوباتية.

وبالاضافة الى نمط الجسم، فان هناك عوامل بيولوجية وتكوينية أخرى تسهم في ظهور السلوك الاجرامي في شخص ما، ولو أننا لابد أن نعيد التأكيد هنا على أن التفاعل بين التكوين الجسمي والعوامل النفسية، وليس أي عامل واحد منهما على حدة، هو ما يجب أن يدرس وتستكشف أهميته في نشأة الميول والاتجاهات العدوانية.

أ ـ العوامل الوراثية:

يوجد في الانسان العادي ٢٣ زوجاً من الكروموسومات، اثنان وعشرون منها تختص بالصفات الجسمية على حين أن الزوج الأخير يحدد الصفات الجنسية (ذكراً أو أنثى) لكل فرد فينا، وفي

الذكور العاديين يكون هذا الزوج من الكروموسومات هو XY، أما في الاناث فان هذا الزوج فيكون XX، وهذه الكروموسومات تظهر في احدى مراحل الانقسام أشبه بالعصيات Rod-shaped منقسمة بالطول ويلتصق النصفان ببعضهما من جزء ما فيهما[1].

ولكن في عدد قليل جداً من الرجال تحدث بعض الأخطاء أثناء المراحل الجينية فتزيد فيهم كروموسومة واحدة من النوعY، وهو نوع من الشذوذ الكروموسومي يصفه البعض بأنه جرعة «رجولة» زائدة[2].

ولقد شغل هذا الشذوذ علماء الوراثة والجمهور العام على السواء في الستينات، ذلك أن عدداً من الباحثين كان قد قرر وجود علاقة بين السلوك العدواني المضاد للمجتمع، وبين التركيبة الكروموسومية من النوع XYY، وقد تبع هذه التقارير ضجة اعلامية عن وجود مجموعة من المجرمين «القتلة» الذين تقرر أن بهم هذه التركيبة الكروموسومية السابقة[3].

وعلى الرغم من أن هذه التقارير والدراسات شملت فقط أعداداً من نزلاء السجون ومستشفيات الأمراض العقلية

---

1 - Chusid, J.G. Correlative Neuroanatomy and Functional Neurology, Lange Medical Publication, California, 1979, p. 289.

2 - Gallatin, Judith; Op. cit., p. 516.

3 - Shah, S.A. The 47 XYY Chromosomal Abnormality: A Critical Appraisal with Respect to Anti-Social and Violent Behavior, in Issues in Brain/Behavior Control by L. Smith and A. Kling (eds.), Spectrum Publications Inc., N.Y., 1976, p. 49.

والمستشفيات التابعة للسجون التي تضم المجرمين المضطرين نجد البعض منهم يقرر أن هذه الكروموسومة Y الزائدة هي التي هيأت ـ بطريقة أو بأخرى ـ هؤلاء المجرمين للوقوع في السلوك المضاد للمجتمع واقتراف السلوك الاجرامي.

أكثر من ذلك فانه على أساس بعض الخصائص المظهرية من قبيل الطول الزائد في القامة والأطراف ووجود حبوب في الوجه في بعض السيكوباتيين، وكذلك وجود اضطرابات عقلية بسيطة أو ضعف عقلي بسيط لدى بعضهم، من هذه الامارات غير الدالة، ذهب أحد الباحثين ذات مرة الى أن ريتشارد سبك Richard Speck المجرم المتهم بقتل ثماني ممرضات في مدينة شيكاغو Chicago الى أن كروموسومات هذا المتهم هي من النوع XYY، والتقفت ذلك الرأي الصحافة العلمية والصحافة الشعبية على السواء وبثته في الناس حتى وقر في أذهانهم أن ذلك الشخص كان من هذا النوع من الناس الذين يتميزون بزيادة في عدد كروموسوماتهم، الى أن بينت التحاليل الكروموسومية في النهاية أن هذا المتهم «سبك» هو شخص عادي من هذه الناحية ولا يوجد به أكثر من ستة وأربعين كروموسوماً.

وهكذا فعلى الرغم من أن معظم الدراسات التي تناولت أثر التركيبة الكروموسومسة من النوع XYY على السلوك الاجرامي تعاني من تلك المآخذ التي أشرنا اليها، الاَّ أننا ما زلنا نرى كثيراً من المراجع العلمية التي تقرر، بل وتؤكد «المزاج العدواني غير العادي» و «نوبات العدوان الحادة» التي تنتاب كثيراً من الرجال الذين بهم هذه التركيبة الكروموسومية XYY غير العادية.

اما الدلائل المتوفرة حالياً فلا تؤيد هذه المزاعم خصوصاً اذا روعيت الأصول المنهجية في البحوث العلمية، فنقارن مثلا عينة من رجال يحملون XYY من الكروموسومات بعينة من نفس المجتمع الذي تنتمي اليه هذه العينة الأولى ولكنهم عاديون من الناحية الكروموسومية.

على أن ذلك لا ينفي أن عديداً من الأشخاص ممن فيهم XYY من الكروموسومات قد وجدت لديهم اضطرابات طبية ونفسية وسلوكية واجتماعية خطيرة، لكن ذلك لا يجعلنا نعمم هذه النتائج من قلة من الناس على كل من يتصفون بهذه الخصائص الكروموسومية من النوع الذي نتكلم عنه، ذلك النوع الذي هو XYY.

فهناك دراسة قام بها برايس وهواتمور Price and Whatmore قارنا فيها السلوك الاجرامي لدى تسعة من الرجال من النوع XYY مع ثمانية عشر رجلا كمجموعة ضابطة من النوع XY، وكان الجميع نزلاء نفس السجن، وقد وجد الباحثان أن السجل الاجرامي للعينة الأولى يشمل عدداً أقل من جرائم العنف ضد الأشخاص، غير أنه في دراسة قام بها جريفيت وآخرون Griffiths et al قارنوا فيها بين تسعة من المسجونين من النوع XYY مع مجموعة مماثلة من المسجونين من النوع XY، وقد وجدوا فروقاً دالة احصائياً عند نسبة ٠,٠٢ فيما يتعلق بمتوسط عدد مرات الاتهام في جرائم (١٣ في مقابل ٩,٢)، وكذلك متوسط السن عند أول اتهام، لكنهم لم يجدوا فروقاً بين

مجموعتين في عدد المخالفات القانونية التي حكم عليهم فيها، وكذلك لم يجدوا فروقاً بين المجموعتين في طول مدد الأحكام التي صدرت ضد أفراد كل منهما.

وفي دراسة قام بها ستريت واطسون سنة ١٩٦٩م[1]، من أنماط المخالفات القانونية السابقة التي ارتكبتها مجموعة من المجرمين من النوع XYY، بالمقارنة مع مجموعة أخرى من المجرمين من النوع XXY، وعينة ثالثة من المجرمين ولكن من النوع XY في احدى المستشفيات للسجناء، وقد وجد الباحثان أن العينتين ذات الشذوذ الكروموسومي (أي الأولى والثانية) كانت مخالفاتها الجنسية أكثر من المجموعة الثالثة، فقد كانت نسبة هذه المخالفات على الترتيب ٥٩٪، ٥٦٪، ٣٤٪، ولم يتمكن هذان الباحثان من الحصول على أية فروق بين المجموعات الثلاث في عدد المخالفات القانونية غير الجنسية مثل الاعتداء على الممتلكات والأشخاص.

ولما تفحص الباحثان السالفان نوع المخالفات القانونية التي سبقت دخول هؤلاء المجرمين - في العينات الثلاث - مستشفى السجن مباشرة، فقد وجدا أن المجموعة XY قد ارتكبت أفعالا اجرامية ضد الأشخاص بنسبة ٥٨٪، أما مجموعة الـ XYY فقد كانت نسبتهم ٣٢٪، وبالنسبة للمجموعة XXY فكانت نسبة

---

1 - Shah, S.A.; Op. cit., p. 59.

مخالفاتهم القانونية ضد الأشخاص ٣٧٪، وهذه الفروق دالة عند مستوى ٠٥,

أما نيلسون Nielson[1]، فقد وجد فروقاً بين عينة من المجرمين من النوع XYY (ن =١٢)، وعينة من النوع XXY (ن =٦١)، وقد كان أفرادها عبارة عن نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية ومستشفى للمجرمين السيكوباتيين، وعينة ثالثة عشوائية من الدانمركيين في السلوك الاجرامي، فأما العينة الأولى فقد تبين وجود نسبة عالية لديهم من جرائم العنف ٣٦٪، أما العينة الثانية فكانت نسبة جرائم العنف بين أفرادها ٤٪، وقد كان المتوسط العام لمعدلات الجريمة في الدنمارك لعام ١٩٦٦م ١٦٪، وفيما يتعلق بالجرائم الجنسية (ومنها الاعتداءات على الأطفال) فقد كانت مرتفعة بين أفراد العينة الثانية XXY (٤٣٪)، وكذلك بين أفراد العينة الأولى XYY (٤٥٪) عنها بين المرضى من المتخلفين عقلياً (٢٥٪)، عنها بين المجموعة من ذوي الذكاء البيني Borderline (٣٥٪)، عنها بين مجموعة عشوائية من الدنماركيين (١٤٪).

وفي سنة ١٩٦٨ قام لتل Little بدراسة للفروق في المخالفات القانونية التي ارتكبها سبعة عشر مجرماً من النوع XYY ومجموعة مماثلة من سبعة عشر مجرماً ليسوا من النوع السابق، وعينة ثالثة تتكون من

---

1 - Shah, S.A.; Op. cit., p. 59.

أربعة وثلاثين مريضاً اختيروا عشوائياً من مستشفى رامبتون Rampton لكن ماكراتشر McKerracher أعاد تحليل النتائج الخاصة بـ Little بعد أن قام بتصنيف المخالفات القانونية الى ثماني فئات عامة، ولو أنها كانت متداخلة الى حد ما وقد كانت هذه الفئات (العدوان الجنسي، الاغتصاب، العدوان في التعامل الشخصي، العدوان من أي نوع، اقتحام المنازل، السرقة، المروق، أخرى) وعندئذ وجد ماكراتشر فرقين دالين احصائياً، وقد وجد الباحث أن المجموعتين ذات الشذوذ الكروموسومي كانت نسبة اتهاماتهم والحكم عليهم في جرائم الجنس أعلى (٦٠٪)، فيما كانت جرائم المجموعة من النوع XY، ٣٩٪، أما الجرائم غير الجنسية فقد كانت نسب المجموعتين الأوليين أقل، حيث كانت ٣٥٪ لمجموعة الـ XYY، ٤٢٪ لمجموعة الـ XXY، ٦٣٪، للمجموعة الثالثة XY.

وعلى كل حال فان من الواجب أن نأخذ النتائج السابقة بحذر لأن هذه النتائج في بعضها تؤيد وجود علاقة بين الاختلال الكروموسومي والسلوك العدواني المضاد للمجتمع، ولكن الجزء الآخر من النتائج ينقض وجود هذه العلاقة، على أننا قد نلمح بعض الاتساق في ارتكاب الأفراد المصابين باختلالات كروموسومية أنواعاً معينة من الجرائم، كما تفصح عن ذلك الدراسات السابقة، بيد أن الفروق ـ في عدد ونوع الجرائم ـ تظهر بين المجموعات الكروموسومية المختلفة أو لا تظهر حسب نوع العينات التي كانت موضع الدراسة وكيفية تصنيف السلوك الاجرامي.

وقد دعى هذا التضارب في نتائج الدراسات كلا من كلارك وآخرون Clark et al ١٩٧٠م[1] الى القيام بدراسة تبين لهم فيها وجود فروق بسيطة بين مجموعة من النوع XYY ومجموعة من النوع XY العادية في تكرار السلوك المضاد للمجتمع، ولهذا فقد قرروا، أنه بينما نجد أننا في حاجة الى دراسة شاملة لهذه المجموعة (XYY)، فانه يبدو أنهم قد وصموا بالسيكوباتية، وان كان تكرار وقوع أحدهم في الجريمة والسلوك اللااجتماعي قد لا يزيد كثيراً عما يرتكبه المواطن العادي من مخالفات.

ب ـ العوامل الهرمونية في السلوك العدواني:

ان الملاحظ أن السلوك السيكوباتي في الرجال أكثر بكثير من تكرار هذا السلوك في الاناث[2]، أو لنقل ـ على الأقل ـ بأن الرجال أكثر ميلا للعنف، ولهذا فان احصائيات الجريمة لابد أن تشمل أعداداً كبيرة منهم، وانه وان كانت جرائم العنف تتكرر الآن بين النساء الاَّ أن النسبة هي ١,٥ بين الرجال والنساء.

ان من الممكن اذن ارجاع هذه الفروق في السلوك العدواني الى الفروق المقابلة في الهرمونات الذكرية، فهل الرجال أكثر سيكوباتية

---

1 - Shah, S.A.; Op. cit., p. 62.
2 - Gallatin, Judith; Op. cit., p. 518.

لأنهم أكثر عدوانية؟ ربما كان ذلك صحيحاً، فلدى الذكور مقادير أكبر من الاندروجينات ـ أو هرمونات الذكورة ـ في أجسامهم، ولقد قام كل من ماكوبي وجاكلين Maccoby and Jacklin ١٩٧٤م[1] بتلخيص للدراسات في هذا الموضوع وقد سلما بأن ميل الرجال الى العنف قد يكون له أساس بيولوجي، وقد لاحظ هذان الباحثان الآتي:

١ ـ في كل الحضارات التي شملتها دراساتهم تأكد لهما أن الرجال أكثر عدوانية من النساء.

٢ ـ ان هذه الفروق الجنسية في العدوان تبدأ مبكراً في الظهور بين الأطفال الذكور حتى من قبل أن تبدأ عمليات التطبيع الاجتماعي التي تقوم بها الأسرة.

٣ ـ الكثير من أقاربنا في المملكة الحيوانية كالقردة والجوريلا والشمبانزي يشاهد لديها نفس الفروق الجنسية في العدوان.

٤ ـ مما يرجح وجود علاقة وهرمونات الجنس، أن الحيوانات ـ بغض النظر عن جنسها ـ عندما تحقن بهرمونات الذكورة تصبح أكثر استعداداً للاستفزاز والعنف، اما الحيونات التي تحقن بهرمونات الأنوثة فتصبح أكثر مطاوعة وهدوءاً.

ولهذا فان ماكوبي وجاكلين يستخدمان مفهوم الاستعداد Preparedness، أي الاستعداد الهرموني، لتفسير هذه الفروق الجنسية البينة في السلوك العدواني بين الذكور والاناث.

---

1 - Gallatin, Judith; Op. cit., p. 518.

لكن هرمونات الجنس وحدها لا تكفي لتفسير كل مظاهر السلوك العدواني، ذلك أنه وان كان الرجل أكثر عنفاً من المرأة وان لدى الرجال نزعات سيكوباتية أكثر من النساء الاَّ أن نسبة قليلة منهم هم الذين يصبحون مجرمين معتادي الاجرام، ليس هذا فقط، ولكن يضاف الى هذا بأنه يوجد ـ ولو أن العدد ضئيل ـ بعض النساء السيكوباتيات الخطرات، ولكن الرجال ـ على أي حال ـ أكثر استعداداً لاقتراف السلوك العدواني، فهم أكثر استجابية، وأكثر ميلا للردود العدوانية من الاناث في مواقف معينة.

اذن فالفروق التكوينية ربما كانت عنصراً من عناصر السيكوباتية، وهي بذلك لا تعدو كونها عنصراً واحداً أو عاملا واحداً من بين العديد من العوامل.

جـ ـ العوامل العصبية في السلوك العدواني:

يقول فرانك ارفن Frank Ervin (١٩٧٦م) انه لاحظ من دراسة لعينة من ٢٠ مريضاً بالصرع نتيجة لتلف في الفص الصدغي أنه كان هناك عدد منهم تنتابهم نوبات من الثورة والهياج تصاحب نوبات الصرع، وخلال نوبات الهياج تلك كانت تصدر عن هؤلاء المرضى أنواع من السلوك العدواني، وقد وجد أرفن علاقة بين النشاط الكهربي لبعض أجزاء المخ خصوصاً النواة اللوزية Amygdala أو اضطراب وظيفة هذه النواة وبين ظهور السلوك العدواني.

بهذه الكيفية تعرف أرفن ورفاقه أولا على الاضطراب العضوي ثم لاحظوا العلاقة بين هذا الاضطراب وأنواع من السلوك هي السلوك العدواني، ولم يكتف الباحثون بهذا الأسلوب بل أرادوا أن ينهجوا الأسلوب العكسي بأن يتعرفوا على المرضى الذين يعانون من ثورات الغضب والسلوك العدواني أولا، ثم بعد ذلك يحاولون اكتشاف الاضطرابات العضوية التي قد تكون مصاحبة لهذا السلوك في هؤلاء المرضى.

ولتحقيق ذلك اتصل فريق البحث بالعيادة الخارجية في المستشفى التي يعملون بها وطلبوا من المسئولين فيها تحويل كل الحالات المرضية التي يعاني أصحابها من نوبات الهياج والغضب ومن تكرار صدور السلوك العدواني عندهم، وبهذه الكيفية تمكن الباحثون من مقابلة ما بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ من الحالات، وبعد أن استبعد الباحثون الحالات غير المناسبة مثل المراهقين المشاغبين الذين يحضرهم آباؤهم لسوء سلوكهم وغير ذلك من الحالات كالمتخلفين عقلياً وفئات من الفصاميين أصبح العدد المتبقي ١٣٠ حالة، أما نصف هذا العدد من الحالات فكانوا يعانون من اضطرابات سيكولوجية متنوعة كالاضطرابات في تكوين الشخصية، أو أنواع مختلفة من العصاب.

ومنذ البداية فقد عرف الباحثون السلوك العنيف على أنه الهجوم الجسدي على آخرين، كان هذا الشخص المهاجم في علاقة مواجهة معهم بحيث اذا استمر هذا الهجوم الجسدي فانه يؤدي الى اصابات جسمية أو قد يفضي الى الموت.

ويبين أرفن في تقريره أن حوالي ٦٥ شخصاً تبين أنهم يعانون من أمراض في المخ خصوصاً في الفص الصدغي من بين الـ ١٣٠ حالة، وقد كان ذلك التشخيص مبنياً على أساس نتائج رسام المخ الكهربائي Electroencephalogram، وكذلك بعض الأدلة الاكلينيكية الأخرى، اضافة الى ذلك فقد لاحظ الباحثون أن أعداداً من هذه المجموعة من المرضى كانوا يعانون من صعوبات في الكلام، ضيق المجال البصري، واختلال وظيفة الاتزان، وهذه العينة كانت غالبيتهم من البيض Whites و ٦٠٪ منهم كان قد تم القبض عليهم مرة واحدة وأدينوا - على الأقل - إحدى جرائم العنف، وهم بذلك يكونون قد عرفوا بطريقة رسمية على أنهم مجرمين، وقد كان من بينهم ثمانية ارتكبوا جرائم قتل من قبل، ومن هؤلاء الثمانية ثلاثة ارتكبوا جريمة القتل أكثر من مرة[1].

وقد انتقد الكثير من الباحثين دراسة «ارفن» السابقة على أساس أن ارفن ورفاقه كانت تعوزهم الوسائل التشخيصية الدقيقة، وانهم أحياناً اعتمدوا على ملاحظاتهم الاكلينيكية[2]، ويضيف هؤلاء النقاد أن العلاقة التي كشف عنها بحث ارفن بين السلوك العدواني واضطرابات وظائف مناطق معينة في المخ لم تكن قوية، لهذا هاجم

---

1 - Ervin, F. Evaluation of Organic Factors in Patients with Impulsive Disorders and Episodic Violence, in Issues in Brain/Behavior Control by L. Smith and A. Kling (eds.) Spectrum Publications Inc., N.Y., 1976, p. 23.

2 - Kling, A.; Op. cit., p. 11.

الباحثون زعم ارفن عن وجود مثل هذه العلاقة، ويرى كلنج Kling أن دور الاتلاف Lesions المخية في السلوك العدواني هو دور احتمالي على أحسن تقدير، ويضيف كلنج الى اعتراضاته «اننا اذا أغفلنا هذه الحالات الفردية البسيطة فلا يوجد بين أيدينا تقرير اكلينيكي متكامل عن هذا الموضوع»، وترجع ندرة التقارير الاكلينيكية عن هذا الموضوع - فيما يرى كلنج - الى الافتقار الى الطرق التشخيصية المناسبة التي يمكننا بها تحديد الاضطرابات العصبية Neuropathology.

فالوسائل التشخيصية الحالية اما انها تشير الى وظائف مناطق المخ بصورة عامة، أو ان نتائجها غير واضحة أو متناقضة أحيانا، كما هو الحال في رسام المخ الكهربائي EEG، وبذلك يصعب الكشف عن العلاقة بين نتائج هذه الأجهزة أو الوسائل وبين الاضطرابات السلوكية.

اما الاختبارات النفسية العصبية Neuropsychological فهي حساسة بصورة كبيرة لدرجة أن الاضطرابات المخية أيا كانت درجتها تظهر على هذه الاختبارات بما يصعب معه تبين أي هذه الاضطرابات يعتبر بسيطاً، وأيها ليس كذلك، ونفس الشيء يقال عن الوسائل التشخيصية الفزيو عصبية Neurophysiological، فهذه الوسائل مثل أجهزة قياس الطاقات المستثارة Evoked potentials دقيقة للغاية، بحيث أننا لو استخدمنا هذه الوسائل على عينات - حتى لو كانت عينات كبيرة - من نزلاء الاصلاحيات والسجون، فاننا سوف نجد

أن كل أفراد هذه العينات ذو قدرات عقلية منخفضة الى بينية، كما سوف نجد كثيراً من صعوبات القراءة وكثيراً من الأعراض الأخرى التي تتعلق باضطرابات الوظائف العقلية ـ الادراكية، كذلك سوف نجد لدى هذه العينات اضطرابات غير محددة في رسام المخ الكهربائي EEG، لكننا قد لا نجد أن نسبة الاصابات المخية بينهم أو النواحي المرضية في المخ تزيد فيهم عنها في الناس العاديين[1].

وأخيراً فان «كلينج» برغم اعتراضاته على ما ذهب اليه «ارفن» من وجود علاقة سببية بين اضطرابات الفص الصدغي والسلوك العدواني خصوصاً لدى المرضى الصرعيين، الا أنه ـ أي كلينج ـ لا ينكر ولا يقلل من أثر اضطرابات المخ كأسباب محتملة للسلوك اللااجتماعي.

وقد أعاق اجراء البحوث والدراسات الفزيولوجية والعصبية على الانسان كثير من الاعتبارات الخلقية ومشاكل في تصميم هذه البحوث الى جانب ندرة وسائل التشخيص الدقيقة، ولهذا يتجه العلماء دائماً الى اجراء هذه التجارب على الحيوان، وتجارب الحيوانات وان كان من الصعوبة بمكان نقل نتائجها على الانسان الاَّ أنها تعتبر على الأقل مؤشراً لما يمكن أن يكون عليه الحال فيما لو أجريت هذه التجارب على الانسان.

---

1 - Kling, A. Frontal and Temporal Lobe Lesions and Aggressive Behavior, in Issues in Brain/Behavior Control by L. Smith and A. Kling (eds.). Spectrum Publications Inc., N.Y., 1976, p. 11.

أما فيما يتعلق بالتجارب على الحيوان فقد بين الباحثون أن استئصال الفصين الصدغيين، بما في ذلك التكوين الخطأ في Uncus والنواة اللوزية Amygdala وقرن آمون Hippocampus في القردة ينتج عنه جملة من الأعراض[1] منها:

١ ـ نقص في تكرار المشاغبة والخناق: وكذلك نقص في الخوف الذي كانت تبديه هذه الحيوانات في العادة من أشياء مثل الثعابين وغيرها مما يخيفها.

٢ ـ ازدياد النشاط الفمي بصورة ملحوظة.

٣ ـ الاغفال البصري visual agnosia وزيادة في الدافع الجنسي.

وهذه الجملة من الأعراض أمكن مشاهدتها واحداثها تجريبياً في العديد من الفصائل الحيوانية، وقد توالت الدراسات لتحديد وظيفة كل واحد من هذه التراكيب المخية في السلوك وعلى الأخص السلوك العدواني، وقد تبين العلماء أن استئصال التكوين الخطأ في uncus في الحيوانات في ناحيتي المخ وكذلك النوى اللوزية بدون أن نقرب قرن آمون أو الفص الصدغي، يمكن أن ينتج نفس جملة الأعراض السابقة ولكن بصورة مخففة عما لو جرى استئصال الفص الصدغي بأكمله.

وكذلك يمكن الحصول على بعض أعراض من الزملة السابقة باحداث تلف في الفص الصدغي بدون التعرض للنوى اللوزية أو قرن آمون.

---

1 - Grossman, S.P. Essential of Physiological Psychology, John Wiley and Sons Inc., N.Y., 1973, p. 286.

ويقرر بعض الباحثين أن الاتلاف lesions التي أحدثوها في النواة اللوزية في القطط قد نتج عنها زيادة في الاستجابة والردود الانفعالية في هذه الحيوانات، ولكن أبحاثاً أخرى حديثة قد بينت أن هذه الردود الانفعالية ربما تكون قد نتجت عن الاثارة التي سببها التلف في الأنسجة المخية المحيطة باللوزة[1].

وقد وجد جروسمان Grossman من بحوثه وبحوث علماء آخرين أن اعطاء الحيوانات (القطط والفئران) حقنة من الاسيتايل كولين في منطقة اللوزة تسبب حدوث تلف مفاجع في تلك الحيوانات، ويستمر النشاط الكهربائي الناتج بين بضعة أسابيع الى عدة شهور ويكون هذا النشاط عنيفاً وحساساً ـ بدرجة كبيرة ـ لكل أنواع المثيرات، وتهاجم هذه الحيوانات الانسان والقطط الأخرى عند أول بادرة لاثارتها.

أما بالنسبة للدراسات على الانسان فان هناك تقارير تشمل عدداً من المرضى الذين أجريت لهم جرعات لاستئصال النواة اللوزية أو الفص الصدغي في ناحية أو في ناحيتين من المخ[2]، وقد أجريت هذه الجراحات في الغالب على مرضى يعانون من صرع سببه تلف في الفص الصدغي أو على فصاميين مزمنين، ولقد بين سكورفيل وآخرون Scorville et al أنه من بين خمس حالات أجريت لهم

---

1 - Grossman, S.P.; Op. cit., p. 291.
2 - Kling, A.; OP. cit., p. 11.

عمليات استئصال للتكوين الخطأ uncus في ناحيتي المخ، فان ثلاثاً من هذه الحالات نقصت لديهم معدلات السلوك العدواني، وكذلك حالات أجريت لهم عمليات استئصال لأجزاء في الفص الصدغي، فان أربعاً منها أصبحوا أقل اجتماعية عن ذي قبل.

ويؤكد نارابياشي Narabayashi أن استئصال النواة اللوزية في ناحيتي المخ لمجموعة كبيرة من الأطفال كانوا يعانون من فرط نشاطهم ومن ميولهم العدوانية كان مفيداً في الأقلال من حدة هذين العرضين اللذين ينتجان عن اضطرابات مخية ولادية، كذلك فان الأطفال الصرعي epileptics المتخلفين عقلياً أصبحوا بعد هذه الجراحة أكثر مطاوعة للتدريب، كما ازدادت امكانية السيطرة على سلوكهم خارج المؤسسات الايداعية، وبدا أن هناك زيادة في فترات تركيزهم وانتباههم، كما نقص فيهم تكرار السلوك الاندفاعي، وكذلك فقد نقصت لديهم عدد من النوبات الصرعية.

اذن فالفص الصدغي والنواة اللوزية يتدخلان بشكل كبير في ظهور السلوك العدواني ونوبات الهياج في الحيوان وفي الانسان على السواء، غير أن نتائج البحوث على الانسان غير قاطعة كما رأينا، ذلك ان الجراحات التي أجريت على عينات من المرضى الذين يعانون من اضطرابات مختلفة لم تكن مصممة في الأصل لدراسة جوانب هذا السلوك العدواني بالذات ولم يكن الهدف الرئيسي منها دراسة التفاعل الاجتماعي أو اللااجتماعي، وبرغم ذلك فان مارك وارفن Mark and Ervin يؤكدان بأن هناك علاقة قوية بين التلف الموجود بمناطق

معينة في المخ وبين ظهور السلوك العدواني، ويشيران الى أن نوبات العدوان الشديدة دائما ما تصحب حالات الصرع الناتج عن تلف في الفص الصدغي أو أوراما موجودة بهذا الفص، وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات التي تؤيد هذا الزعم أو تنقضه فان من الواضح ان الكثير من الحالات التي يعاني أصحابها من الاندفاعات العدوانية لا يبدو أنهم يعانون من اصابات عصبية كبيرة[1]، وفي الوقت نفسه فان ذلك لا ينفي أنه ربما كانت هناك بعض الاضطرابات المخية، ولو البسيطة التي يمكن أن نجدها مصاحبة لهذا السلوك العدواني خصوصاً اذا ما كان المريض يتعاطى الكحول.

بعد أن عرضنا للاتلاف الموجودة في الفص الصدغي والمناطق المحيطة به نسأل الآن عن الاتلاف بمناطق المخ الأخرى التي قد تسبب السلوك اللااجتماعي.

هناك بعض الدراسات التي حاولت الكشف عن وجود علاقة بين التلف الموجود في مناطق أخرى من المخ وبين السلوك العدواني، وقد جاء في الأهمية بعد اتلاف الفص الصدغي تلك الاتلاف التي توجد في الفص الأمامي، فقد لاحظ الباحثون أنه بعد استئصال اجزاء من الفص الأمامي أو نتيجة لوجود اتلاف في السطح الجانبي في الحيوانات الراقية فان هذه الحيوانات تصبح أكثر نشاطاً فتدور حول نفسها باستمرار، بالاضافة الى حدوث تغيرات أخرى مزاجية في هذه الحيوانات، وكذلك لاحظ الباحثون أن استئصال أجزاء من

1 - Kling, A.; Op. cit., p. 17.

الفص الأمامي تشمل المناطق الظهرية الجانبية dorsolateral فان ذلك يفقد الحيوان وضعه الاجتماعي داخل التنظيم الهرمي لجماعات القردة.

أما في الانسان فان استئصال الأجزاء الأمامية في الفص الأمامي يؤدي الى حدوث اضطرابات من أهمها عدم قدرة الشخص على تكييف سلوكه للمواقف المتوقعة، وكذلك فان الشخص ـ من جراء هذه الجراحة ـ سوف يعاني نقصاً في المبادأة ونقص في الانتباه واضطراب في قدرته على الحكم والاستبصار والتخيل.

وكما يقرر هيكان Hecaen [1] في دراسة قام بها على مجموعة كبيرة من المرضى الذين يعانون من أورام بالفص الأمامي في المخ فان أكثر الأعراض لديهم ـ فيما يقول ـ كانت: عدم اهتمام المريض بما يحيط به، بطء حركته، عدم القدرة على التوجه، وجود تقلبات مزاجية تتراوح بين الفرح الغامر وعدم الاحتمال والتوتر، أما اضطرابات الذاكرة فتتوقف على حجم التلف الموجود.

من هذه النتائج نرى أن الدراسات على الانسان لا تؤيد وجود علاقة بين وظائف الفص الأمامي للمخ وبين السلوك العدواني، لكن هذه الاضطرابات اذا ما أضيفت اليها ظروف اجتماعية مساعدة، فانها تؤدي بلاشك الى ظهور أنواع غير مقبولة من السلوك.

---

1 - Kling, A.; Op. cit., p. 19.

ويؤكد هاري Hare[1] أن معظم السيكوباتيين عاديون من الناحية العصبية وهو في ذلك يتفق مع ما يقرره يوكلسون وسامنو فيما عرضناه سابقاً من آراء، ولكن هاري يعترف بانه لا بد أن هناك شيئاً ما غير عادي في الجهاز العصبي للسيكوباتيين، أقل هذه الأشياء هو أن السيكوباتيين لا يستجيبون للمواقف الضاغطة على النحو الذي يستجيب به معظم الناس لهذه المواقف، كذلك يلاحظ هاري أن السيكوباتيين يتميزون بمستوى أقل من الانفعالية arousal عن غيرهم من الناس، ولذلك فان قابلية الجلد فيهم للتوصيل الكهربائي (الاستجابة الجلفانية) GSR أقل منها في العاديين من الناس على أن راسكين وآخرون Raskin et al[2] يؤكدون أن من السهل اكتشاف خداع السيكوباتيين باستخدام جهاز كشف الكذب Polygraph تماماً كما هو الحال مع العاديين من الناس.

---

1 - Gallatin, Judith; Op. cit., p. 518.

2 - Andreassi, J.L. Psychophysiology. Human Behavior and Physiological Response, Oxford University Press, 1980, p. 284.

المراجـــــــع

أولا: المراجع العربية ..

١ ـ بحوث في سيكولوجية الشخصية بالبلاد العربية. تركي. م. أ. المطبعة الفنية. القاهرة: ١٩٨٠. ص: ١٥٩.

ثانياً: المراجع الأجنبية ..

2 - Andreassi, J.L. Psychophysiology, Human Behavior and Physiological Response, Oxford University Press, 1980.

3 - Chusid, J.G. Correlative Neuroanatomy and Functional Neurology, Lange Medical Publication, California, 1979.

4 - Ervin, F. Evaluation of Organic Factors in Patients with Impulsive Disorders and Episodic Violence. In issues in Brain/Behavior Control by L. Smith and A. Kling (eds.), Spectrum Publications, INc., N.Y., 1976.

5 - Gallatin, Judith. Abnormal Psychology, Concepts, Issues, Trends, Macmillan Publishing Co., Inc., N.Y., 1982.

6 - Green, A.R. and Costain, D.W. Pharmacology and Biochemistry of Psychiatric Disorders, John Wiley and Sons, Chichester, 1981.

7 - Grossman, S.P. Essentials of Physiological Psychology, John Wiley and Sons Inc., N.Y., 1973.

8 - Kling, A. Frontal and Temporal Lobe Lesions and Aggressive Behavior. In issues in Brain/Behavior Control by L. Smth and A. Kling (eds.) Spectrum Publications Inc., N.Y., 1976.

9 - Millon, T. Modern Psychopathology, W.B. Saunders Company, Philadelphia, 1969.
10 - Schneider, D.J. Social Psychology, Addison-Wesley Publishing Company, Reading, Massachusetts, 1976.
11 - Shah, S.A. The 47 XYY Chromosomal Abnormality: A Critical Appraisal with Respect to Antisocial and Violent Behavior. In issues in Brain/Behavior Control by L. Smith and A. Kling (eds.), Spectrum Publications Inc., N.Y., 1976.